العرب
الجمعة 2021/10/15
السنة 44 العدد 12210

لوحات تستمد بهاءها من المنحى التحليلي السيكولوجي

دلشاد نايف فنان كردي – عراقي زاهد في الألوان جامح إلى الخيال

يشكّل الفنان الكردي - العراقي دلشاد نايف من البيئة والطبيعة والتاريخ الطويل من عمر الأرض وجذور الإنسان مفرداته التشكيلية، فيرسم المرأة والطبيعة والتاريخ الحضاري لمدينته دهوك بألوان متفجرة ومتدفّقة كسيلان نهرها على الأرض المنبتة للجمال في أبهى مظاهره الطبيعية.

غريب ملا زلال
كاتب سوري

"دهوكا رنكين" المقولة التي طالما سمعناها من شفان برور الفنان الأبرز لدى الكرد، ومن عامة الناس حين نأتي على ذكر دهوك، فلا يمكن أن تذكر دهوك إلاّ وتنزل رنكين إلى جانبها، هي صفة باتت مرافقة لها، بل ملاصقة لها، حالها كحال أكثر المدن الكردية كقامشلوكا أفيني وعامودا بافي محمد.

وترسّخت هذه المقولة حقيقة حين فكّرت في الكتابة عن فنانيها التشكيليين، فوجدت نفسي أمام ظاهرة تنعش الروح والقلب معا، ظاهرة تكشف عبق دهوك وأريجها؛ ففي هذه المدينة حركة تشكيلية لا تنضب، حركة في حالة من الدوران المستديم، حركة تشبه الحلم المستمدّ من العلاقات الخاصة بين الخصائص الفيزيقية المتاحة بوسائل مختلفة، وبين الخصائص الإدراكية المصحوبة بنظرات فاحصة تكشف الجو المنذر بالخطر أو بالفرح تبعا للأثر المتوقّع الذي يتركه العمل في متلقيه، حركة تشكل قوسا وقزحا وتزيّن فضاء دهوك، بل فضاء كردستان برمته.

نهر فني

"دهوكا رنكين" وعلى نحو تلقائي تتدفّق بأنهار عذبة، أنهار تزداد قيمتها كلما شاركت في تحريك انفعالاتنا الإنسانية المتعلقة بالجمال، وكلما عملت على ملاءمة عواطفنا المرتبطة بالطبيعة الداخلية اللازمة لها؛ فوجود أسماء كسيروان شاكر، وستار علي، وحميد شريف، ودلشاد نايف، وسليمان علي، ورشيد علي، وفمان إسماعيل، وشيراز عزيز، وآراز نيرسيسيان، وهبة يونس وهيفي بيل وحدها كافية لأن تكون لدهوك حيويتها وغنائيتها.

فقائمة الأنهار طويلة وجارية بعذوبة جميعها تحمل الحلم الرحب لتلتقي في مصب واحد وتسقي دهوك وحقولها وناسها وتجعل عطرها يغرق كل من يمرّ بها، وبالتالي تنشر هذا العطر الجميل لا في ربوع كردستان فحسب بل في ربوع كل العراق، أنهار فاعلة بقوة، جميعها تسيل بعذوبة لا يشغلها شاغل إلاّ ألوانها والأضواء التي تستحم بها.

أسعدني جدا وجود هذا الكم من الأسماء والنشاط، أسعدني وجود أكثر من مجموعة تشكيلية كجماعة الفن المعاصر وجماعة الستة وجماعة الفتيات التشكيليات وغيرها في دهوك، وهي حالة عافية، بل حالة ضرورة لانطلاق حافلة الفن التشكيلي باتجاه البحث والتجديد، باتجاه الهدف المنشود، هي حالة تذكّرنا وتعيدنا إلى الزمن المجيد للفن حين كان في حالة غليان لا يهدأ، في حالة ولادات جديدة على الدوام.

سقت كل هذا الكلام لأبدأ بالحديث عن تلك الأنهار نهرا نهرا، وسبق أن كتبت عن بعضها كستار علي وسيروان شاكر وحميد شريف، وهنا سنقف عند دلشاد نايف (1978) أحد الأنهار الفنية المهمة والعذبة في دهوك.

كان لأعمال نايف وقع خاص عليّ وأنا أبحر فيها وفي عوالمها، وقع من العيار الجميل، والقريب من عمليات الإدراك غير المباشر، فأعماله لها عمق المقولات المفتوحة بمعانيها المختلفة.

سريالية الواقع والمتخيّل

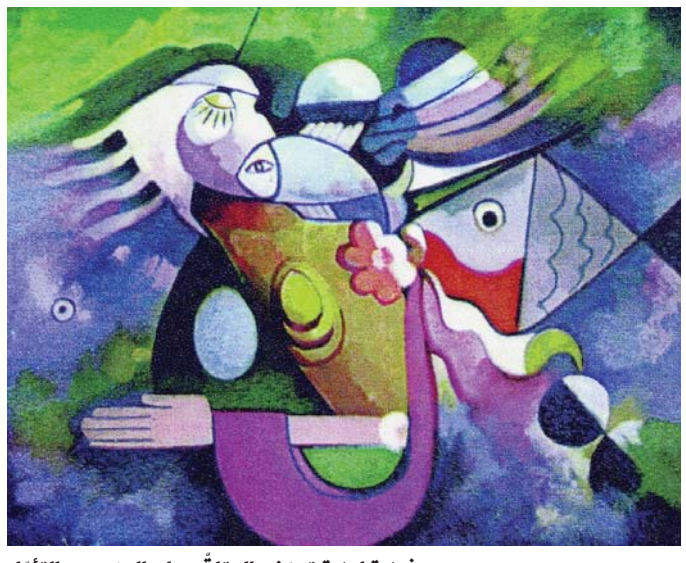

سيمفونية لونية تحرّض المتلقّي على المزيد من التأمّل

أو لنقل لها عمق من محدّدات بيئية يدخل فيها العامل الرؤيوي بتأثير من عمليات بصرية في ضوء الإطار الخاص المتكئ على أحكام جمالية بوصفها أحكاما موضوعية إلى حد ما، ومتخيلة إلى حد أكبر؛ فهي تستمدّ بعض مواصفاتها أو معظمها من المنحى التحليلي السيكولوجي بالإشارة إلى بعض العلاقات الخاصة والمشتركة بينها وبين السريالي، فهو يعايش بينهما في أطر غير مألوفة، ويعود بهما إلى الشرط البدائي للجمال وإلى ملاعب الطفولة وحريتها الخاصة والتي يمجّدها نايف كثيرا.

وكأنه يلخّص ويُعيد ما كتبه الفنان التشكيلي السوري الراحل عمر حمدي المعروف في العالم باسم "مالفا" في إحدى رسائله إلى صديقه أديب مخزوم الفنان والناقد المعروف "كلما كبرت في المعاصرة، أدركت أن الأكثر بدائية هو الأكثر حداثة في الفن، كونها المصدر الأهم لتجدّد الوعي مع التدفّق التلقائي للأحاسيس الهاربة من العزلة التي يلجأ إليها الفنان كثيرا كشكل من أشكال التوازن مع المحيط ومفرداته من جهة، ومع أشكال التفاعل الحميم مع الذات من جهة ثانية".

هذا ما يجعل الاتجاه الخاص الذي يمشي إليه نايف غير مُقَنَّع، بل يأخذ بتغييراته في الشكل الفني على أساس التواصل مع اللامرئي، حيث سخونة اللون وما يمكن أن تكون قيمتها المعطاة البعيدة عن الاعتياد والقريبة من هيولى (الأصل) ذات البؤرة الانفجارية غير المنفصلة عن الذي يحصل بين المتلقي والعمل الفني حين يلتقيان، فإما أن يطرد أحدهما الآخر ومن هذا الكثير، أو تقوم في النهاية على أساس من التواصل في مستواه الجمالي وهذا قليل، لكن فاعل ومثمر.

> دلشاد نايف يمسك ريشته ويمنعها من الانزلاق نحو التقليد عبر إدراكه لعالمه الداخلي الذي يدفعه إلى إطلاق العنان لخياله

وكتخفيف من مسألة السائد يبذل نايف جهدا مضاعفا وهو يطارد ما ينبغي أن يكتشف له، بزمن مغاير وجديد، فالشكل الخارجي لا يمكن له أن يسقطه من محاولاته التجديدية، وإن كانت هناك إزاحات صغيرة تتجلى في ابتعاده عن الإيقاع الصاخب الذي قد يوقع مشروعه في شفاهية الإسقاطات التي تشبه قفزة في الهواء.

ويدرك نايف ذلك جيدا، وهذا ما يدفعه إلى زيادة الجرعة في إيقاعاته الداخلية بموسيقاها التي يعتمد عليها كثيرا، وهو ما يجعله يمسك ريشته ويمنعها من الانزلاق نحو التقليد، فهذا الإدراك لعالمه الداخلي يحرّر ذهنه وذهن متلقيه معا اعتمادا على ذلك الارتباط الذي يشدّ أحدهما للآخر حسب احتياج كل منهما إلى الآخر، فيقتربان من حدائق بعضهما البعض وكلاهما يحمل العبق الذي سيفرغه في حديقة الآخر دون أية فرضيات خاطئة.

عوالم روحانية

كل الاحتمالات تذهب إلى الجانب الحدسي الذي يجرّ أشكال نايف دون أية رضوخ لنزوات انفعالية أو بحثية، فهو يمشي نحو إنشاء القيمة الذاتية لأعماله بوصفها حقولا جمالية/ معرفية لا تفتقر إلى القدرة على الوصول إلى معلومات جديدة بمنظورات جديدة.

فكل شيء له أثر على أي شيء، وأي شيء له أثر على كل شيء، فهذه الديناميكية ضمن عوالمه المتخيلة تجعل من ملامح تجربته أسرة بالموجات الأثيرية التي تمنح اللون قيمة روحية بها يصوغ أحاسيسه وما تحمله من حركات تصاعدية متحالفة مع إيقاعاته التعبيرية، متمسكة بالأفقين القريب والبعيد على نحو يبعده عن الإرغام على تسعير اللون في غير مكانه.

كما يبعده عن الوقوع في مسالك تحتشد بنزق لوني يلتف على نفسه، فهو الجامح في حركته، القلق على مدارات عملية الخلق، الزاهد في ألوانه، فشطآن الخيال سرعان ما تلد في لوحاته، بدءاً من الحواف التي منها ينهل تشكيلاته ويذهب بها إلى أفق اللوحة ليعلقها هناك، مجبولة بعلاماته الساعية إلى التجاوز المستمر لكل محن الحدوث، وصولا إلى مشاهداته الطموحة التي تشي باندفاعات روحانية تعتريها طاقة موحية بالقدرة على مضاهاة عناصر الطبيعة، والإيغال بعمق في كل ما يمكن أن يحتدم من ملامح اللوحة حتى تبصر، أو حتى تتشظّى بمرارة الاشتياق في تخطيطاته المختلفة.

هناك عدة مؤثّرات تحضر في تجربة نايف لتجعل التداعيات تأخذ ألوانها وأشكالها؛ فالموسيقى الداخلية لديه ما هي إلاّ إيقاعات نحو التحريض والتأمل، وما اللمسات اللونية المختلفة لديه إلاّ تراكمات قد تتحوّل إلى رمز، أو إلى خصوبة فيها يستيقظ الوقت لتفصيل خيوط معينة بها ينفّذ الفنان عمله ضمن متغيرات هي وليدة لذاكرته، وبالتالي وليدة لعالم متخيّل تماما هو أقرب إلى الأسطورة منها إلى الواقع.

وجوه نسائية تتناغم في التعبير والانفعال عبر معرض «هي» الأردني

عمّان – يستمرّ حتى الخامس من نوفمبر القادم بغاليري رؤى 32 للفنون بالعاصمة الأردنية عمّان معرض "هي" متضمنا ثلاثة وأربعين عملا فنيا لعشرين فنانا وفنانة من الأردن وسوريا وفلسطين والعراق ومصر وإسبانيا.

وتعكس أعمال المعرض اتجاهات وأساليب الفنانين المشاركين من واقعية وتعبيرية، حيث حرص كل فنان مشارك أن يُبرز على مسطح لوحاته رؤاه التي ظهرت جلية في الوجوه التي تتناغم فيها تعبيراتها سواء من حيث الإيحاءات أو الانفعالات من بهجة وفرح وحزن وألم وأمل، وهذه الانفعالات تصدر عن جزء مهم من جسم الإنسان هو الأسمى والأرقى روحيا وحسيا.

وتحضر الانفعالات والتعبيرات من خلال لوحات البورتريه التي اختارها الغاليري بعناية لعرضها على الجمهور، من أجل تحقيق المتعة البصرية والتعرّف عن كثب على ما تضمنته رؤى تلك الأعمال التي تعكس المشاعر والأحاسيس المتشابهة والمختلفة من لوحة إلى أخرى.

ويُبرزُ "هي" التباينات الأسلوبية والرؤى الخاصة بكل فنان، وكأن الوجه البشري الأنثوي بات مادة خاما تتناول أحاسيسهم ورؤاهم وهواجسهم ودواخلهم وهم يرسمون هذه الوجوه.

ويطرح المعرض تساؤلات عن خلفياتهم ومرجعياتهم البيئية والثقافية والنفسية، كما يدعو المتلقي إلى التأمل في أساليبهم وتقنياتهم أثناء تعاملهم مع الوجوه النسائية، وكأن الموضوع هو ما خلف اللوحة وليس اللوحة ذاتها.

وفي الوجوه المعروضة تتكثّف خلفيات الفنانين والفنانات وبيئاتهم وثقافتهم ومزاجهم النفسي، وتمتزج في عجينة واحدة مع أسلوبهم الفني وتقنياتهم وخاماتهم، لتنتج عن ذلك قراءة مكثفة للطبيعة الإنسانية بما تنطوي عليها من اختلاف وتعدّد.

ويشارك في المعرض من الأردن كل من إياد المصري ورائد قطناني وسهاد الخطيب وعلي العامري وغازي إنعيم وغالية برغوثي وفتحي عارف ومحمود صادق ويزن مصاروة، بينما يحضر من العراق كل من أسامة حسن وإيمان علي وزينة سليم، ومن فلسطين كل من أيمن عيسى وعبدالحي مسلم وناصر السومي، ومن سوريا حمود شنتوت وعلي حسين، ومن مصر رضا عبدالرحمن وشلبية إبراهيم، ومن إسبانيا سيرجيو لونا.

وسيرجيو لونا فنان إسباني من مواليد العام 1979، وهو خريج فنون جميلة من جامعة فالنسيا، حاصل على العديد من الجوائز والأوسمة في إسبانيا. وأعماله مقتناة في المتاحف وحول العالم.

ويستخدم الفنان الإسباني في أعماله ألوان الأكريليك على القماش والشاش، حيث تتداخل الوجوه المشوّهة أو الصور المكرّرة فوق بعضها بأسلوبه الخاص به، حيث تبرز الحركة المضطربة للفرشاة والألوان في سكون هادئ يُحيل إلى ما نفّذه بعض المصوّرين الأميركان في خمسينات القرن الماضي.

أما الفنانة المصرية شلبية إبراهيم فتستحضر مواضيع لوحاتها من عالمها الخاص المُستلهم من خزان الذاكرة الحبلى بالرموز المصرية والسورية، فهي ابنة قرية في المنوفية المصرية التي شكلت ذاكرة طفولتها الأولى بكل ما فيها من سحر الريف ونقائه، وهي ابنة دمشق التي تقاسمت فيها مع زوجها الفنان الراحل نذير نبعة عطر ياسمينها وحبات رمانها، حيث تبدو الورود متناثرة على جنبات لوحاتها، ما يوحي بالتفاؤل والأمل، في تجسيد فطري للفرح وبهجة النفس والروح القادرة على الفرح وكل ما يبهج النفس.

المعرض يسلّط الضوء على مشاعر المرأة في جميع تمظهراتها التي تشي بالحزن حينا والأمل غالبا

وفي مشاركتها في معرض "هي" تركّز الفنانة السورية غالية برغوثي على النساء والصبار، وكل تفصيلة باللوحة تعكس الإحساس بالقوة والجمال والحياة والبدايات الجديدة الواعدة. أما الصبار فهو يعني لها القوة والصبر والجمال والحياة بعد الموت ويعني الحب رغم المصاعب، وهي في ذلك تستخدم أكثر من لون وتقنية في اللوحة الواحدة، لتنتج لوحات مدهشة محتفية بالمرأة وجمالها ودلالها.

ويستعرض الفنان الفلسطيني ناصر السومي في لوحاته المعروضة في غاليري رؤى 32 عصارة تجربته المديدة التي جمعت بين التجهيز والنحت والرسم، وحتى المسرح والرقص والكتابة، وهو المشبع بتقنيات عالم الفنون الجميلة مع هواجس علاقة الإنسان في المكان، ومع حقيقة الإيقاعات النابضة بالإيقاع المستمر، حيث يعشق حقيقة دمج كينونة الإنسان في عوالم كشوفاته الفنية الأخرى، مستفيدا من قيمة حسه الشاعري، ومحفورات عشقه لأعماق إنسانية الإنسان الذي يريده في منجزه الفني.

يقدّم السومي كعادته عبر لوحاته حقائق جماليات ساحرة تدعو المتلقي إلى إشراكه كعنصر في تكوين عمله الفني، حيث التيه في نداءات الجسد المتعب عبر تقاسيم كل ما هو مرئي وسرمدي يريده حالة صوفية دائمة.

واختارت الفنانة العراقية إيمان علي خالد موضوع الحب والهمسات الداخلية للنفس البشرية كرسالة من رسائل الحرية المكتومة لتجسّدها عميقة بالدلالات والرموز في لوحات المعرض، مقيمة خلطا متعمّدا لوجوه منفعلة تارة، ومستسلمة تارة أخرى، لتبدو وجوهها مفعمة بأحاسيس الحب والألم والغضب والحلم والسعادة، بل بكل ما تكتنزه دواخل الروح البشرية.

لوحات تعكس المشاعر المتشابهة والمختلفة